البـــاب الثاني

القدس في العهد الإسلامي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

القدس في العهد النبوي الشريف

انقضت الفترة الزمانية التي دامت قرونا والتي تعرضت فيها القدس للهجمات الأشورية من الشرق والمصرية من الغرب وكذلك الفرس والروم بحلول مرحلة جديدة في تاريخها إثرانتهاء الحكم الروماني لهذه الديار بالفتوحات الإسلامية التي أصبحت القدس فيها ولحوالي ثلاثة عشر قرنا دار سلام وإسلام، فالإسلام دين ألأنبياء جميعا من لدن آدم(عليه السلام) حتى سيدنا محمد(ﷺ) ولأهمية القدس فقد كان لها في العهد النبوي الشريف الرعاية التامة حيث:

1- قرر القرآن الكريم أن الكعبة أول بيت بني على الأرض قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَلَمِينَ ﴾ [1] كما أن الحديث النبوي الصحيح ذكر القرب الشديد تاريخيا بين بناء المسجدين الحرام والأقصى، فقد روى البخاري عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) أنه سأل الرسول، أي مسجد وضع في الأرض أول، قال: (المسجد الحرام)، قلت ثم أي؟قال (مسجد الأقصى)، قلت: كم كان بينهما ؟ قال: (أربعون سنة)، ثم أينما أدركتك صلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه][2] أي أن القدس بنيت عند بدء الخليقة على الأرض، فهي دار توحيد ومركز عبادة لله الواحد الأحد منذ نشأتها.

2- الفتح الروحي للقدس على يدي الرسول الكريم وذلك بحادثة الإسراء والمعراج قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى

---

(1) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية رقم 96.

(2) (هو في البخاري 6/ 469)و(6/ 528، ح:2425) من فتح الباري في صحيح البخاري وهو في مسلم (3/ 326،ح،52)وشرح النووي مسلم .

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1] فحادثة الإسراء تعتبر من الركائز الهامة في توجه الدعوة الإسلامية إلى القدس مبكراً.

3- توجيه الرسول (ﷺ)أحد دعاته إلى هرقل الروم حاكم بلاد الشام التي عقرها القدس يدعوه للإسلام.

4- توجيه الرسول الكريم (ﷺ) سراياه في بداية الدعوة الإسلامية صوب الشام التي حاضرتها القدس.

5- القبلة الأولى: حيث توجه الرسول(ﷺ) في صلاته صوب القدس ستة أو سبعة عشر شهرا اتباعا لملة أبيه ابراهيم إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [2].

6- الرسول الكريم يبشر بفتح بيت المقدس في مستهل الدعوة الإسلامية روى الإمام أحمد في مسنده عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي (ﷺ)، فقال: عوف؟ فقلت: نعم. فقال: أعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة: أولهن موتي، قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله (ﷺ) يسكتني، قال: قلت إحدى. والثانية: فتح بيت المقدس [3].

وقد ورد العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضائل بيت المقدس، لا مجال لسردها هنا.

---

(1) القرآن اكريم، سورة الإسراء، آية رقم 1.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم 144.

(3) رواه البخاري،/ ك 58/ باب 15 قال عوف، أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم، فقال أعدد ستا بين يدي يالساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، والسادسة، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، (الروم)، فيغدرون ن فيأتوكم تحت ثمانين غاية اثنا عشر ألفا ولربما تكون العلامة السادسة هي الحملات الفرنجية) التي بدأت ولم تنته بعد.

الفصل الثاني

القدس في العهد الراشدي

ارتقى رسول الله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 11هـ وفق 632 م، بعد أن جهَّز جيش أسامة بن زيد لفتوح الشام، وما أن وصل إلى مشارف المدينة حتى ورد خبر الوفاة فتوقف الجيش عن المسير، فاجتمع مجلس شورى الصحابة فاتفقوا على أن يتولى الخلافة أبا بكر الصديق الذي انشغل بحروب الردة فطلبوا منه إرجاء إرسال جيش أسامة، لكنه قال: "والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي"[1] فوقف يودع الجيش ويوصي ابن العاص "عليك بفلسطين وإيلياء" هذه الوصايا التي لا ترقى إليها الأنظمة المعاصرة.

عقد الخليفة الراشد العزم على فتح القدس مع بلاد الشام إذ جهز أربعة جيوش أمّر عليها أربعة من خيرة قادة الصحابة وهم:أبو عبيدة عامر بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص الذي كلفٍ بفتح فلسطين بدءا من القدس وشحنهم بالوصايا التي تعتبر دستورا يحتذى به.

يوم فلسطين: كان من أبرز المعارك التي خاضها المسلمون ضد الروم الذين كان يربو عددهم على المائة ألف (يوم فلسطين) فانهزم الروم، وثبت عمروبن العاص في المعركة لأن وصية الرسول الكريم ووصية خليفته الصديق كانت فلسطين، إذ أصبح المسلمون في نهاية هذه المعركة على مشارف القدس.

معركة أجنادين: اتفق قادة المسلمين في بلاد الشام على التوجه جميعا لملاقاة الروم في منطقة أجنادين الواقعة غربي مدينة الخليل، والتقى الجمعان حيث انجلت المعركة بنصر

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،(بيروت، دار صادر – دار بيروت، 1965م)المجلد الثاني، ص: 334.

المسلمين وذلك ليلة ست خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية (30 تموز / يوليو 636م).[1]

انجلت هاتان المعركتان الحاسمتان عن نصر للمسلمين، فدانت معظم فلسطين لهم من بيسان إلى غزة.

معركة اليرموك: انتقلت جيوش المسلمين بعد أن تمت السيطرة على معظم أرجاء فلسطين باستثناء القدس وقيسارية، حيث تجمع الروم بأعداد هائلة وفاجأهم المسلمون بعددهم وعدتهم المتواضعة اللهم إلا سلاح الإيمان الذي قلب موازين المعركة لصالح المسلمين فكانت اليرموك بحق من المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام والمسلمين، وإن اختلف المؤرخون في أيهما اولا اجنادين أم اليرموك إلا أن النتيجة كانت اندحار الروم وسيطرة المسلمين على هذا الجزء الهام من هذه البلاد.

في عام 13 للهجرة توفي أبو بكر وأصبح عمر بن الخطاب خليفة المسلمين حيث انجلت المعركة بقيادة خالد بن الوليد بنصر مؤزر للمسلمين. فأصدر الخليفة عمر بن الخطاب مرسوما نحى فيه خال وثبت بدلا منه أبا عبيدة عامر بن الجراح قائدا عاما لجيوش المسلمين في بلاد الشام.

بعد أن استتب الأمر في سوريا بفتح دمشق كتب أبو عبيدة إلى أمير المؤمنين يستشيره في التوجه إلى قيسارية أو إلى بيت المقدس، فاستشار الصحابة في هذا، فأشار عليه علي بن أبي طالب بأن يسير إلى القدس أولا فتوجهت جيوش المسلمين السبعة وحاصرت القدس لمدة أربعة أشهر، إلا أن صفرونيوس بطريرك الروم طلب من أبي عبيدة أن يستلم مفاتيح المدينة الخليفة عمر بن الخطا سلما، فأرسل إليه وحضر وجرى الصلح وكتب العهدة العمرية لأهالي القدس التي ما تزال نموذجا للتسامح الديني في فلسطين وازال الخليفة الراشد القاذورات من مكان المسجد الأقصى المبارك وتم بناء

(1) الحوت، سبق ذكره، ص 87.

مسجد عمر وعين الولاة والدواوين وأئمة المسجد الأقصى ورتب الوظائف وأصبحت القدس إسلامية منذ ذلك اليوم.

أما في عهد الخليفتين الراشدين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) فقد استمرت الحياة على نسقها من التقدم والعمران وزيادة دور العلم والتوسع في دور العبادة وانتشار الإسلام وغير ذلك من حياة المسلمين الهانئة الوادعة. ووقف عثمان بن عفان عين سلوان (قرب القدس) على أهل المدينة، وكانت هذه بداية أوقاف إسلامية غنية على بيت المقدس على مدى القرون.

obeikandl.com

الفصل الثالث

القدس في العهد الأموي

حدد الإسلام موقفه من الأديان السماوية، وساوى بين الأنبياء جميعا، وفتح للذميين حرية العبادة وجعل أرواحهم وأموالهم في ذمة المسلمين، صار الفتح توافقاً وتعاهداً، فلم ترق دماء ولم تهدم معابد منذ الفتح العمري حتى نهاية العهد العثماني[1] فانتقل الحكم إلى بني أمية الذين حكموا الأمة الإسلامية من سنة 40هـ – 660 م حتى 132 هـ – 749 م.

شارك معاوية في فتح القدس، كما أنه كان أحد شهود العهدة العمرية، وبهذا يكون أحد الشخصيات الإسلامية الذين واكبوا فتح بيت المقدس علاوة على تولي أخية يزيد بن أبي سفيان للقدس.وبهذا

بويع بالخلافة في إيليا[2] وروي أنه بعد المبايعته زار جبل الجلجلة وصلى هناك ثم قصد إلى الجثمانية وهبط إلى قبر السيدة مريم وصلى هناك. [3]وكان من أبرز الأعمال التي قام بها ببيت المقدس أنه قدم إليها بعد مقتل عثمان بن عفان واستغل المطالبة بدمه حيث عقد تحالفا مع داهية العرب عمرو بن العاص فبايعه على دم عثمان وأمضيا العقد في القدس كما أنه تلقى بيعة الشاميين في المسجد الأقصى عام40هـ / 660م عندما احتدم النزاع مع الحسن بن علي.

اعتبرت بيت المقدس أرضا مقدسة لقدسيتها في العقيدة ألإسلامية إلى أن ازدهرت في عصري عبد الملك وابنه الوليد لما قاما به من انجازات خلدها التاري، .حيث

---

(1) الحسيني، إسحق موسى، ترجمة، الأبنية الأثرية في القدس الإسلامية، القدس، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، 1977، ص 3.

(2) الطبري، تاريخ الطبري، ج3، ص 166.

(3) العارف، بلادنا فلسطين،ج9، سبق ذكره، ص 118.

بويع عبد الملك بن مروان بالخلافة سنة 65هـ، وقد حضر شحصيا إلى بيت المقدس، وأراد أن يستشير رعيته في شأن بناء قبة الصخرة المشرفة أولا، فأرسل بكتبه إلى الأمصار، فكانت إجابة رؤساء الأمصار (نرى رأي أمير المؤمنين موافقا ورشيدا إن شاء الله يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ويجري ذلك على يديه ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه). [1] فقد كلف اثنين ممن يثق بهما، وهما أبا المقدام رجاء بن حيوة وهومن بيسان ويزيد بن سلام من أهل بيت المقدس. وقد أوقف على هذا البناء خراج مصر لمدة سبع سنوات. وكان لبنائه هذا هدفان:

أولا: ادعاء الهدف السياسي: لقد كان هدفه أن يحرم خصمه بن الزبير من الامتياز الذي بين يديه مكة والمدينة ويحول أنظار أهل الشام إلى بيت المقدس ويحاصره اقتصاديا بمنع إيراد الحجاج عنه .

ثانيا: الهدف الديني:أي أن الهدف كان دينيا محضا وذلك بأن يكون للمسلمين مسجد يضارع في بهائه وجماله وسحره ما لكنائس النصارى من سحر وجمال في بيت المقدس وفلسطين والشام. وأن يؤمها العرب والمسلمون، كما أنه قام بتعريب هذه المدينة المقدسة وقد كانت أيامه مليئة بالأبنية البيزنطينية الرائعة الهندسة، فكان لا بد من أن يضاهيها بهذا الصرح بل يتفوق عليها عمارة وإبداعا.

أما الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك لم يقل اهتمامه عن سلفه لبيت المقدس، فقد أحب فلسطين حبا جما، ولما جاءه خبر وفاة أخيه الخليفة الوليد كان واليا على الرملة وصدف وجوده في هذه الأثناء أن كان على سطوح قبة الصخرة المشرفة فبدأت مبايعته بالخلافة من هناك وقد همّ أن يتخذ من القدس عاصمة له بيد أنه عدل عن هذا الرأي لأسباب سياسية. أخذت الوفود تتوالى عليه للمبايعة وهو في صحن مسجد بيت المقدس. وكذلك الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز الذي اشتهر بالعدل فقد صلى مرارا في

(1) الحنبلي، الأنس الجليل، سبق ذكره، ج1، ص 272.

المسجد الأقصى وقبل أن يستلم الخلافة كان يمشي في بيت المقـدس، فـلا يعرفـه إلا القلـة لابتعاده عن المظاهر.وعندما أراد محاسبة بعض عمـال سـليمان أمـر بـأن يحملـوا إلى بيـت المقدس ويحلفوا عند الصخرة ولّما أحسّ بنية اليهود في بيت المقدس أخرجهم منها.

obeikandl.com

الفصل الرابع

القدس في العهد العباسي

انتهت الخلافة الأموية على يدي الخلفاء العباسيين بتاريخ 27 جمادى الأولى 132هـ وفق 750 م.

القدس في عهد أبي جعفر المنصور:أولت الخلافة الإسلامية إبان العصور المتعاقبة القدس الرعاية التامة طيلة فترة حكمها وعاملتها معاملة خاصة، وخدمت المسجد الأقصى المبارك.وعندما بويع أبو جعفر المنصور بالخلافة أوفد قائده محمد بن الأشعث لإخراج عمال صالح بن علي من البلقاء والأردن وفلسطين فسار صوب هذه البلاد وقام بهذه المهمة، وقدم بيت المقدس حيث ودع الحملة الذاهبة لإخضاع ثورة الخوارج في إفريقيا وفي القدس ودع الحملة [1] ثم أقام أياما أمرخلالها بترميم العديد من الأبنية والمسجد الأقصى الذي حلت به الرجفة التي أدت إلى انهيار جزئه الشرقي والغربي، فقيل له يا أمير المؤمنين: قد وقع شرقي المسجد وغربه من الرجفة في سنة ثلاثين ومائة ولو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته فقال: ما عندي شيء من المال، ثم أمر بقلع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت على الأبواب فقلعت فضربت دنانير ودراهم، وأنفقت عليه حتى فرغ العمل منه عام 154 هـ وفق 774 م [2]

زار بيت المقدس في هذه الحقبة الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي عالم مصر، والتقى بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ببيت المقدس. في عام 158 هـ وفق 884 م حدث زلزال هائل للمسجد الأقصى المبارك مما أدى إلى انهيار الأجنحة التي كان قد أمر بترميمها سابقا، كما أثّر على جميع مباني بيت المقدس وامتنع الناس عن الصلاة في المسجد الأقصى لخطورة الأمر.

---

(1) الحوت، بيان نويهض، فلسطين القضية الشعب .. سبق ذكره ص 108.

(2) علي، محمد كرد، خطط الشام، ص 281.

القدس في عهد الخليفة المهدي: في عام 158 هـ كان حادثة انهيار أجزاء كبيرة من المسجد الأقصى، وهو العام الذي استولى فيه المهدي على مقاليد الحكم، فقام بزيارة إلى بيت المقدس، وشاهد ما شاهد من خراب حصل لهذا المسجد الإسلامي جراء الزلزال المدمر، فقال: رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال أنقصوا من طوله وزيدوا في عرضه فتم البناء في عهده.وكان ذلك عام163 هـ وفق 780م. وقد ازداد عمران المسجد الأقصى على عهد المهدي بما أدخله عليه من تحسينات حيث أقام به قبة أخذت زينتها من الذهب والفصوص الملونة.[1] كما قام بطرد بطريرك القدس إلياس الثالث إلى بلاد الفرس وأسكن المسيحيين في القدس في حارة واحدة وحصّل منهم فدية. وهو صاحب المقولة المشهورة عن بني أمية فيما سبقوا العباسيين به: وهي المسجد الأموي والموالي وعمر بن عبد العزيز ومسجد الصخرة في بيت المقدس.

القدس في عهد الخليفة العباسي المأمون:وفي أواخر عام 216 هـ زار الخليفة المأمون القدس قادما من دمشق في طريقه إلى مصر، وقد أمر في هذه الزيارة بترميم المسجد الأقصى المبارك وخاصة مسجد قبة الصخرة المشرفة كما زار في عهده الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي القدس وقد زارها عدد كبير من أهل العلم والفضل حيث بلغت العلوم في عهده شأنا عظيما. كما قام المأمون بعمل إصلاحات كبيرة وزاد في عرض المسجد الأقصى وأنقص طوله.

القدس في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله 295هـ 208م:: كانت القدس في عهد هذا الخليفة العباسي من أعمال الدولة العباسية وقد أمرت أمه عام 301هـ وفق 913م بصنع أبواب قبة الصخرة فصنعت من خشب الصنوبر وذهِبت كما أن المقتدر أصلح قسما من السقف وقد سجلت أعماله بكتابة باللون الأسود على بعض الأعمدة الخشبية على القسم الجنوبي بالتثمينة الخارجية.

---

(1) محمد كرد علي – **خطط الشام** ص 281.

الفصل الخامس

القدس في العهد الطولوني و الإخشيدي

القدس في العهد الطولوني.الطولونيون: نسبة إلى طولون الذي أسرته جيوش المسلمين عندما فتحت بلاد الأتراك، وهو تركستاني الأصل وقد أسره ابن أسد الصمامي، فأرسله إلى المأمون الذي أعجب به وقربه إليه وارتقى مراتب عالية في سلم الحكم العباسي إلى أن اتخذ موقعه في الحكم، وسمى نفسه بأبي العباس. تألق نجم هذا القائد الذي انضم إلى العباسيين فخدم في عهدي المأمون والمعتصم.، طارت شهرة هذا الرجل فكان تقيا ليّن العريكة مقداما ملما بالسياسة قائدا للقوات العسكرية يأتمر بأمر الخليفة العباسي، فلم لم يبق من سلطة الخلفاء العباسيين في هذه المرحلة إلا الإسم."دخلت القدس في حكم احمد بن طولون سنة 833 م وكان من أبرز الأعمال التي قام بها إلغاء ألامتيازات التي كانت للنصارى في بيت المقدس على يدي الخلفاء السابقين من أمويين وعباسيين حيث أساء النصارى في عهده الكثير، ومن الأحداث البارزة في عهده في بلاد فلسطين الحرب العصبية التي دارت بين قبيلتي لخم وجذام عام 257 هـ وفق 870 م."[1]

أما مركز القدس فلم يتضعضع أو يتأثر وذلك لأن القدس بقيت محافظة على مركزها الديني ولا يعني هذا أن مركزيتها وأهميتها قد تراجعت إلى الوراء بل بقيت القدس ذات الأهمية القصوى في نظر المسلمين من سكان وحكام، حيث ان هذه المدينة المقدسة لم تتاثر بمجريات الصراع القائم آنذاك علما بأن هذه الفترة شهدت حروبا كثيرة وكان التوجه العسكري منصبّا على المدن الساحلية لأهميتها الإستراتيجية، أما القدس فقد بقيت في قلوب المؤمنين على ما كانت عليه من احترام وتقدير وسير في حياتها العادية من تقديس وعبادة وإعمار وقصد الزيارة ولغايات العبادة.

(1) عارف العارف، مصدر سابق، ص 126.

وتوالى الإخشيديون على الحكم إلى أن برز منهم كافور الإخشيدي (أبو المسك)عام 355 هـ وفق 965م في مصر، وقد ولى على القدس الشريف عامله محمد بن إسماعيل الصنهاجي، وكان من أهم ما قام به كافور في حياته أن أوصى بأن ينقل جثمانه إلى بيت المقدس ويدفن فيه، ولما توفي في مصر في شهر جمادى الأولى سنة 357 هـ وفق 967 م نقل جثمانه إلى بيت المقدس ودفن فيها.

وعندما توفي الإخشيد في دمشق سنة 334هـ وفق 945م دفن في القدس، كذلك عندما توفي أنوجور بن الإخشيد سنة 349هـ وفق 960م حمل إلى القدس ودفن عند أبيه أيضا.ومن بعده تولى الحكم أخوه علي الملقب بأبي الحسن فمات لإحدى عشرة خلت من محرم سنة 355 هـ وفق 965م وحمل إلى القدس ودفن عند أخيه وأبيه كذلك.

إن ظاهرة حب الإخشيديين للقدس عظيمة فقد برز حبهم لها بأن أوصى معظم حكامهم بأن تحمل رفاتهم وتدفن في بيت المقدس، علّهم ينالوا بهذا المقام الكرامة والمغفرة، وهكذا كانت القدس عزيزة غالية في نفوس الحكام وولاة المسلمين في هذه الحقبة،

نأت القدس بنفسها عن الصراعات التي دبت في جسم الخلافة العباسية بعد أن استقر بها الوضع وأصبحت قبلة للحجاج والزوار من مشارق الأرض ومغاربها وارتفع فيها أركان الإيمان في رحاب المسجد الأقصى المبارك، حيث أن الحروب الطاحنة التي دارت بين المتخاصمين ابتعدت عنها وتوجهت إلى المدن الساحلية كونها أقرب إلى منطقة الصراع بين بلاد الشام ومصر تارة وبين الطولونيين والإخشيديين تارة أخرى وكأن بيت المقدس كانت تنتظر حدثا أهم وأفدح فيما بعد داهمها، ألا وهو الاحتلال الصليبي البغيض الذي تركز صوبها.

الفصل السادس

القس في العهد الفاطمي

انتهى دور الإخشيديين بنهاية حياة كافور حاكم مصر، فعمت الفوضى البلاد، فما كان من عقلاء مصر إلاّ أن أوفدوا إلى المعز الفاطمي صاحب المغرب بأن يحضر إلى مصر وينضووا تحت لوائه.في هذه الأثناء لم تكن فلسطين وبيت المقدس خاضعة للنفوذ الفاطمي بل أنها ما زالت تحت إمرةالعباسيين.

واستولى المعز لدين الله الفاطمي على الشام كلها فأصبح حكم الفاطميين على بلاد المغرب وبلاد مصر والشام وقطعت الخطبة للخليفة العباسي في هذه البلاد وأخذ خطباء المساجد يدعون للخليفة الفاطمي.

في عام 365 هـ وفق 975م توفي المعز الفاطمي وتولى الحكم بعده ابنه العزيز، الذي تزوج من جارية رومية كان لها نفوذ كبير حيث أشارت على زوجها بتعيين أخاها أريسطيس بطريركا لبيت المقدس عام 375هـ وفق 985م0وعامل النصارى بالتسامح واللين والعطف وألغى سنة 411هـ وفق 1020م معظم القوانين والأوامر الخاصة بالذميين، وأطلق لهم الحرية والقيام بشعائرهم الدينية كما يشاءون، وسمح للنصارى بتجديد ما درس من كنائسهم وبيعهم وأيارهم0ورد لهم ما أخذه منهم، كما أنه سمح للذميين الذين دخلوا في الإسلام كرها، أن يرتدوا ويعودا إلى دينهم ألأصلي.

القدس في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزازدين الله 411 – 425 هـ:

في سنة407هـ / 1016م حدث زلزال في عهده أسقط بعض أجزاء من قبة الصخرة وقسما من سور الحرم، وقد تم الترميم في عهد ابنه الظاهر، لإعزاز دين الله سنة 413 هـ 1021 م حيث كانت القبة مغطاة بالفسيفساء وبالرصاص والنقوش العربية من

مداخلها وقام بتعميرها، ويذكر البتنوني [1] " أن الحاكم هو الذي قام بعملية الإصلاح حيث أصلح القبة القديمة وضرب عليها قبة أخرى من الخشب لوقايتها من الأمطار والأجواء المتقلبة. وقد تغيرالحال في عهده فتمتع النصارى بحرية شعائرهم الدينية وأعادوا بناء كنيسة القيامة، وذلك حسب اتفاقية الهدنة المبرمة مع الروم في سنة 418 هـ 1026 وشرع ببناء سور بيت المقدس ورمم قبة الصخرة وسور الحرم القدسي وتم تضييقه من الشرق والغرب وحذف أربعة أعمدة من كل جانب وعرض كل رواق 5و6 م والرواق الأوسط عرضه 80و11م. ومن أعماله الأقواس التي في الرواق الأوسط والأروقة الشرقية والغربية والأبواب السبعة الواقعة شمال المسجد، والقبة الحالية كما أن الواجهة الشمالية للعقد الذي يحمل القبة عليها فسيفساء مذهبة، وقد استبدلت الأعمدة القبلية الثلاث بأعمدة جديدة أنشئت سنة 137هـ / 1952م عندما قامت هيئة من المهندسين بإعادة بنائها.

ومن المعاهد العلمية التي كان لها شأن عظيم في عهد الفاطميين ببيت المقدس (دار العلم الفاطمية) التي كانت فرعا لدار العلم الفاطمية التي أسسها الحاكم بأمر الله الفاطمي في مصر سنة 395 ه/ 1004م[2]

القدس في عهد المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله 427 هـ – 1036 م

بدأ يتقهقر في عهد هذا الخليفة الاتساع الذي واكب عهد الخلافة الفاطمية من المغرب إلى خراسان فكانت الكوارث الطبيعية التي أدت إلى انهدام جزء من سور بيت المقدس وانشقت قبة الصخرة المشرفة، وفي سنة 458 هـ – 1066 م أمر هذا الخليفة بترميم الواجهة الشمالية المتهدمة من المسجد.

(1) البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مصر، ص 163.

(2) العارف، المفصل، سبق ذكره، ص 137.

obeikandl.com

أول الوقوف على المسجد الأقصى من خارج بلاد الشام": يفيدنا نقش مؤرخ في سنة 445 هـ -1053م أن أمير ديار بكر من بني مروان وقف بيتين متجاورين خارج سور الحرم الشريف مباشرة لسكنى الزوار الذين يفدون من ديار بكر. وربما كان في القدس أوقاف أخرى لجماعات من مسلمي الشرق في هذه الفترة، إلا أننا لم نعثر على وثائق مكتوبة تؤيد ذلك. "[1]

(1) الحياري، مصطفى، القدس تحت حكم الصليبيين، 1099م – 1187م، تحرير الدكتور، كامل العسلي، القدس في التاريخ، عمان، عمادة البحث العلمي، 1992م، ص 170.

obeikandl.com

الفصل السابع

القدس في عهد السلاجقة

السلاجقة قبائل تركية آسيوية، وكان على رأسهم سلجوق الذي أسلم وعاش في بلاد بخارى وسمي السلاجقة تيمنا به لأنه المؤسس الأول لحكمهم فهم أصل الأتراك العثمانيين. مرّت القدس في مراحل الخلافة العباسية منذ نشأتها الأولى بمراحل مختلفة من القوة والضعف، فعاشت القدس هذه المراحل فما من فترة من هذه الفترات إلا وكان لبيت المقدس نصيب من الإعمار والإصلاح لهم فيها نصيب.

عاشت القدس مراحل حكم الطولونيين والإخشيديين والفاطميين إلى أن انتقل الحكم إلى السلاجقة الأتراك، وفي هذه المرحلة لم يبق للخلفاء العباسيين إلا الإسم .

القدس في عهد محمد ألب أرسلان:في سنة 465 هـ - 1072 م: بعد هزيمة الروم توجه صوب القدس التي كان يحكمها ولاة فاطميون وانتزعها منهم، مع أن هذه البلادجميعها قد دالت لهمن الصين إلى اليمن، لم ينزع الشرعية عن الخليفة العباسي فدعا له منابر المسجد الأقصى المبارك. وما زالت القدس في هذه الفترة تتمتع بهيبتها ومكانتها الدينية ومركزيتها في نفوس المسلمين.

كان في القدس في هذه الفترة (سلطان المقدسي) الذي ولد بالقدس سنة 442 هـ – 1050م وقد تفقه على أستاذ الغزالي نصر المقدسي وكان من المؤلفين وبرع في الفقه وروى عنه الكثيرون.

القدس في عهد محمد ملك شاه:تولى الحكم بعد وفاة والده ملك شاه ولقب بالسلطان العادل.

أ) عام 447هـ – 1077 م ثار المقدسيون على حاكمهم، فأرسل عليهم قائده آتسز بن أوق وكان فيها من بقايا عسكر المصريين، فحاصرها وقتل من فيها وتتبع الذين أتوا إلى المسجد الأقصى ولم ينج منه إلا من احتمى بالصخرة المشرفة

ويقال أنه قتل من سكانها ثلاثة آلاف إنسان فنهب أموالهم وسبى نسائهم واستعبد رجالهم. ويظهر أن فعاله هذه أدت إلى قيام ثورة في الشام، وأن الثورة سرت إلى فلسطين، وكان أتسز ورجاله تركوا أموالهم بالقدس، فوثب القاضي والشهود من بالقدس على أموالهم ونسائهم ونهبوها واستعبدوا ألأحرار.

ب) تولى إدارة القدس الذي استولى عليها بحد السيف المؤسس الأول لدولة الأراتقة (أرتق بن أكسك) وكان زعيما للتركمان الذين أخرجهم السلاجقة من ضفاف بحر قزوين وأتوا سوريا وفلسطين.

أقطع ملكشاه قبل أن يتوفى أخاه تتش بيت المقدس عام 486 هـ – 1092 م، وقد أغار على بيت المقدس الأفضل أمير الجيوش المصرية فحاصرها وكان بها آنذاك ابنا ملكشاه سقمان والغازي اللذان حاولا الدفاع عنها عبثا فقد نصب الفاطميون المناجيق على أسوار القدس لمدة أربعين يوما وهددوا باقتحامها بيد أنه تم التفاهم بين الحامية وجيوش الفاطميين على أن تفتح القدس سلما ويخرج سقمان والغازي سالمين، وقد كان لهما ذلك فتوجه سقمان إلى الرها والغازي إلى بغداد.[1]

وبهذا العمل استطاع الأفضل إن يثبت حكم الفاطميين في بيت المقدس التي كانت تحت حكم السلاجقة، وإن دل هذا على شيء فإن الذي يملك بيت المقدس يملك الحكم لأنها مفتاح بلاد الشرق.

كانت الصراعات بين الفاطميين والسلاجقة على بيت المقدس شديدة ، كما أن الخلافات كانت محتدمة بين شعوب هذه المنطقة والآوضاع الإقتصادية متردية والمستقبل لا يبشر بخير، لأن هناك عيونا كانت تحدق نحو هذه البلاد وتعمل في الخفاء ليل نهار من أجل الانقضاض على العالم الإسلامي وغزوه، فتهيأ الغرب وتعبا تعبئة عنصرية دينية حاقدة مما سمي فيما بعد بالغزو الصليبي لبلاد المسلمين.

(1) المصدر نفسه، ص، 273.